الحضور التاريخيّ في الشعر العمانيّ الحديث

The Historical Presence In Modern Omani Poetry

10.35781/1637-000-176-007

د. محمود حمد الرواحيّ*

*أستاذ الأدب والنقد - جامعة الشرقيّة- سلطنة عمان

الملخص:

مهما تطوّر الإنسان فكريا واجتماعيّا وثقافيّا، لا يمكن أنْ ينفصل عن تاريخه، ويتمّ ذلك في الأدب بشكل فنّي يقوم على إعادة التّصورات حول تأثير مواقفه على البشريّة، ولأنّ الشعر قريبٌ من الذات انطلاقا من حساسيتها تجاه التّحولات فقد حمل عبء الشعور بكل ما فيه من نجاحاتها وإخفاقاتها، نابعا من اختزال المؤثّرات والتحوّلات وكذلك الاستعادات التاريخيّة في شفرات لفظيّة وقرائن خطابيّة خفيّة بين الدّال والمدلول؛ كلّ هذا يتضمّنُ الكثير من الحلقات المتعلّقة بجوانب البشريّة الحسّاسة التي تظهر أشكال التعبير عن التأثير التاريخيّ أحداثا وصراعاتٍ وشخصيّات، من عمق المتّصل الإنساني بكلّ ما له علاقة الإنسان بالأرض والتراب والضوء وتعاقب الزّمن ورؤى الكائن المقابل له.

وجد الشاعر العمانيّ الحديث نفسه في التعبير عن الإنسان عبر تاريخه الطويل، كما تشكّل الحضور التاريخيّ في تجربته بقيمة إنسانيّة خالصة بعيدا عن الحيّز الضيّق منفتحا على التاريخ الإنسانيّ؛ إذ غيّر عالمه المقيّد واستبدل بضيق التعبير سعة الشعريّة التي تجني ثمار انفتاحها على المتغيّرات الإنسانيّة أثر رؤية كونيّة واسعة تستعيد كلّ ما يرتبط به الإنسان، وكل الموضوعات المرتبطة بروحه وفكره، فجاءت صور الحضور التاريخيّ معبّرة عن موقف الذات الشاعرة من تحوّل كثير من القيم والشعور بانكساراتها وشعورها بوطأة الخذلان الذاتيّ والأمميّ والإنساني، بالإضافة إلى الرغبة في البحث عن ذوات مماثلة كان لها تأثير في صيرورة الحياة.

من خلال قراءة نماذج من الشعر العمانيّ الحديث تزعم هذه الورقة أنها تتبّعت بالمنهجين الوصفي والتّأويلي بالإضافة إلى نظريّة التّلقي أهم صور الحضور التّاريخيّ في الشعر العماني الحديث، فكانت نتائج هذه الورقة هي : عدم انفصال التاريخ بأحداثه وشخصيّاته عن الذات الشاعرة، وانعكس ذلك نتيجة تحوّلات العصر على هذه التجارب على شكل استنهاض واستدعاء وتيه ومشاركة ومخاطبة في أشكال الشعر الحديث .

الكلمات المفتاحيّة : الذات، التاريخ، الشعر، الحديث، العماني، الاستدعاء، الصور.

ISSN : 2410-1818

The Historical Presence In Modern Omani Poetry

Dr. Mahmood H. Al Rawah

Abstract

No matter how much humanity develops intellectually, socially, and culturally, it cannot escape its history. This is achieved in literature through an artistic process that reinterprets the impact of human actions on humanity. Because poetry is close to the self, stemming from its sensitivity to transformations, it bears the burden of feeling, with all its successes and failures. This feeling arises from the reduction of influences, transformations, and historical recollections into verbal codes and subtle rhetorical clues between signifier and signified. All of this encompasses many aspects related to the sensitive facets of humanity, revealing forms of expression for historical influence—events, conflicts, and personalities—from the depths of the human connection to everything that relates to humanity's relationship with the earth, soil, light, the passage of time, and the visions of the other being.

The modern Omani poet has found the nature of poetry in expressing humanity throughout its long history. The historical presence in his experience is shaped by a purely human value, far removed from narrow confines, and open to human history. He transformed his limited world, replacing the narrowness of expression with the expansiveness of poetry, which reaps the fruits of its openness to human transformations. This is the effect of a broad cosmic vision that reclaims everything connected to humanity, and all the themes related to its spirit and thought. Thus, images of historical presence emerged, expressing the poetic self's stance on the transformation of many values, its sense of their defeat, and its feeling of the weight of personal, national, and human betrayal, in addition to the desire to search for similar selves that have influenced the course of life.Through reading examples of modern Omani poetry, this paper claims to have traced, using descriptive and interpretive methodologies, in addition to reception theory, the most important images of historical presence in modern Omani poetry. The paper's findings indicate that history, with its events and figures, is inseparable from the poetic self. This is reflected, as a result of the transformations of the era, in these experiences in the form of revival, invocation, bewilderment, participation, and address within the forms of modern poetry.

Keywords: Self, History, Poetry, Modern, Omani, Invocation, Images.

ISSN : 2410-1818

المقدّمة

لا يمكن الانفصال عن التاريخ مهما تقدّم التطوّر الإنسانيّ فكريا واجتماعيّا وثقافيّا، وعبء الشعور بكل ما فيه من نجاحات وإخفاقات يرجع إلى الذات الشاعرة. ويتمّ ذلك في الأدب بشكل فنّي يقوم على إعادة التّصورات حول تأثير مواقفه على البشريّة، ويعيد الشعر أحداثه وشخصيّاته انعكاسا لما يوازي الشعور بضرورة وجود المُستدعى في الوقت الراهن أو وجود الشاعر (المُستدعي) في زمن الحدث أو الشّخصيّة، لما يمتلكه الشعر أكثر من غيره لفظيّا وتركيبيّا من توظيف بُنى التاريخ على اختلاف مستوى لغة الخطاب.

بما يوازي تحوّلات الذوات والذات الشاعر أمام موضوعات الوجود؛ لم يكن الشعر العُماني بعيدا عن هذا التوظيف؛ بما فرضه العصر الحديث من متغيّرات فكريّة وثقافيّة واجتماعيّة، فكانت التجارب الشعريّة بين الشعراء المحافظين وشعراء الحداثة في ذلك، فتنوّعت بين الاستنهاض والترميز والإشارة والمخاطبة المباشرة.

بالاعتماد على دراسات عالجت قضيّة الاستدعاء ونماذج مختارة من التجربة الشعريّة العمانيّة الحديثة استعراض حضور التاريخ، متّخذة المنهج الوصفي والمنهج التّأويلي بالإضافة إلى نظريّة التّلقي في تعيين دلالاته في النصوص المختارة.

ما الذي يمتلكه خطاب الشعر من بين الأشكال الأدبيّة في حضور التراث أحداثا وشخصيّات، وما صور هذا الحضور في الشعر العماني الحديث؟

استعادات التاريخ فنّيّا :

إن ثراء مادّة التّاريخ في تعدد وقائع نواحي الحياة البشريّة والتي تتّسع لتنوّع لا يُحصى للتجارب التي تقدّم نماذج الاستمراية على الأرض، وفي كل مراحله كان يضيف إلى العلوم والفنون البشريّة ما يمنحها الاستعادات والطاقات وأشكالا كثيرة من الرؤى بعد تطوّرها متوازية مع استقراء الراهن، إننا هنا نعني تجاوز الكثير من فترات سقوط النظم بسبب إخفاقات البشريّة إلى إصرارها على البناء والتكوين، وهذا يعود إلى التوازن الذي تنتجه هذه الإخفاقات التي تجاورها أو تتبعها أو حتى تخالطها أنماط إصرار البشريّة على الاستمرار، " والبشريّة لا تتطوّر في ظلّ نظام ذي رتابة مطردة ـ كما يرى شتراوس ـ وإنما من خلال صيغٍ شديدة التّنوّع من المجتمعات والحضارات "[1]، وهذا ما تنتجه أنماط الاستمرار في إعادة الأنفاس إلى المجتمعات البشريّة؛ فتقدّم النجاحات والإخفاقات في نماذج صيرورة تجد

[1] . ستروس، كلاود ليفي، الأنثروبولوجيا البنويّة، ت : مصطفى صالح، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، سوريّة، دمشق، 1983، ج2، ص463.

ISSN : 2410-1818

فيها الأجيال بمختلف ثقافاتها وتفكيرها ومواقفها مادة التّطور في البناء والعمران ومنطلقات التّحولات إلى مراحلها القادمة، ومستقبلها البعيد.

لا يمكن أنْ ينقطع الاتصال بالتاريخ لأنه ليس فترات زمنيّة فارغة، أو مراحل انتقاليّة تتعاقب بفراغات ثابتة؛ بل التاريخ هو الحياة البشريّة، وأفعال الذوات وصراعاتها وتعاقباتها المرتبطة بالتّأثير والتغيير، هي الحوادث التي تسهم في التغيير وتحمل كل أشكال التطّور الفكريّة والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، وهذه هي خلاصات الصراع البشريّ بين المحافظة على الراهن بكلّ تصوّراته والنظر إلى القادم بكل أحلامه، " إنه تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفيّة التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات متفاعلة الجزئيّات، ممتدّة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحيّ في الزمان والمكان "[1]، هذه الروابط تختلف في نوعها وأهمّيتها، ولكنّها تلتقي في مواقف الذوات التي تنفتح على هذا التّباين لتجعل منه قابلا لتعدد القراءة والفهم. كما تتضمن هذه الرّوابط على الكثير من الحلقات المتعلّقة بجوانب البشريّة الحسّاسة التي تظهر أشكال التعبير عن تأثير هذه البنيات التاريخيّة المتولّدة من الأحداث والصراعات، حيث توجد كذلك شخصيّات وأفعال ارتبطت بهذه الحلقات فتركت أثرها بعد أنْ وجّهت مرحلتها إلى منحنى مختلف، إنها ليست تاريخيّة الزمن بل متغيّراته وفواعله التي أكسبت الذاكرة البشريّة مادة استرجاع الحدث والشخوص والأثر، إنه تراثٌ متشكّل من صيرورة مستمرة تمتد إلى القرون الأولى، فيه عمق المتّصل الإنساني بكلّ ما هو مولود من علاقة الإنسان بالأرض والتراب والضوء وتعاقب الزّمن ورؤى الكائن المقابل له، وكل ذلك يتحوّل ويتجدّد ويترك على كل صفحة زمنيّة تجارب وشخصيّات ورؤى جديدة، لذلك هو " جزءٌ من الواقع ومكوّناته النّفسيّة، مازال التراث القديم بأفكاره وتصوّراته ومثله موجّها لسلوك الجماهير في حياتها اليوميّة "[2]، تعود إليه الذات كلما اصطدمت بواقع لا يحقق أحلامها أو تفقد ثقتها في الصيرورة البشريّة، وهذه العلاقة بين الذات وما في التاريخ من آثار تعود إلى فاعليّة الاستعادات التي تجدد فكرة الصراع من أجل الاستمرار، إن هذه الآثار هي مستودع الأجيال الذي يضمّ صورا مترابطة وزخارف رمزيّة كثيرة تكمن لاشعوريّا في نفس كلّ إنسان، لهذا تكرر هذه الصور والزخارف في الأحلام والفنون[3]؛ حيث تستوحي هذه الأخيرة كل ما ينعكس على الذات الحساسة، وتستلهم من صور التاريخ وزخارفه وأحداثه وشخوصه كل هذه الاستعادات، والتي نصنع منها الجانب المشرق الذي يولد حتى من آلام البشريّة؛ حين نعود إلى طريقة التعبير عنها، حين تتحوّل إلى وعي فنّي حسّاس ينقل لنا الانتصارات

[1] . حنبلي، فيصل، " أهميّة علم التاريخ "، مجلة البيان، الكويت، رابطة الأدباء، الكويت، العدد41، 1 / 8 / 1969، ص59.

[2] . حنفي، حسن، التراث والتجديد (موقفنا من التراث القديم)، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتّحدة، وندسور، 2017، ص18.

[3] . درو، اليزابث، الشعر (كيف نفهمه ونتذوّقه)، ت : محمّد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمَنة، لبنان، بيروت، 1961، ص16.

ISSN : 2410-1818

والهزائم، أو يصوّر مخلّصا أنقذ موقفا من الانهيار لدى شعب من الشعوب، أو أضاف فرقا في تاريخه الإنسانيّ، " وما زال الجمال بالنسبة ـ كما قال هربرت ريد ـ مرتبطا بشكْل حتْمي بتجسيد نموذج للإنسانيّة أنْتجه شعْبٌ قديم في أرضٍ بعيدة، نموذج بعيد عن ظروفنا القائمة في حياتنا اليوميّة "[1]، لكننا نتشبّث به للمعاني التي تتكرّر في داخلنا فتزهر بالبناء أو تذوي بالهدم، وهكذا تخدم الفنون البشريّة بأنْ تمنحها منصّة الاعتراف بكل ما تشترك فيه في هاتين العمليّتين؛ أعني البناء والهدم.

يعبّر الأدب عن كثير من أنماط الاستمراريّة البشريّة؛ إذ ينقل عبر مراحلها وأجيالها جانبها الإبداعي العاكس لكل ما يمكن أنْ يترك أثره في الذوات؛ بما يميّز فنّانيها من حساسية وأدوات وطاقات إبداعيّة، ولأنّ الذوات ـ على الرغم من اختلاف فتراتها بتحوّلاتها ومؤثّراتها المتنوّعة ـ تتكرّر بتقاطعاتها الكثيرة استجابة لكل ما يشكل أسباب نجاحاتها وإخفاقاتها؛ فإن انعكاس ذلك عليها يشكّل مادّة ثريّة للتعبير والإبداع، وإذا كان المعنى العام للعمل الفنّي ومن ضمنه أشكال الأدب المحاكاة؛ فإنها لا تنشأ في كثير من أعمال الإبداع بالتوازي مع الواقع، " لأننا لا نحاكي الواقع ضرورة، بل نحاكي كذلك كائنات وأفعالا ليس لها وجود. إنّ الأدب تخيّل"[2]؛ عند تودوروف، ويقوم الخلق الفنّي في انعكاس الذوات الداخليّة على العودة إلى ما يحمله التاريخ ليجدّد الموقف أو الشخوص أو الوقائع أو حتّى الحالات الفرديّة التي تحوّلت إلى ظواهر إبداعيّة عبر الفترات الزمنيّة، كل ذلك يتحقّق بتقاطع الحدث أو الظاهرة، والكائنات التي يشير إليها تودوروف ترتبط بالمخيّلة أو بعمليّة استيرادها من زمنها، وتأتي الأفعال مرتبطة بأبطالها أو بأسبابها الطبيعيّة؛ يحاكيها الأدب فيجعلها ظاهرة مستمرة أو حالة عصريّة، ويمكن أن يطوّرها الأدب أو يحوّلها شكلا أو معنى؛ يضيف إليها بفعل المخيّلة ما يدفع بها إلى المستقبل.

ومن بين كل أنواع الأدب جاء الشعر تحوّلا لغويّا مختلفا في بنية الخطاب، كما أنّه في قيمته الفنيّة يعتمد على اختزال المؤثّرات والتحوّلات وكذلك الاستعادات التاريخيّة في شفرات لفظيّة وقرائن خطابيّة خفيّة بين الدّال والمدلول، وهو لا يشارك أشكال الأدب في كل جوانب علاقته بالذات وواقعها، أو لا يتّصل بها بأنماط اتصال بقيّة الأشكال، فالشعر كما يرى جابر عصفور لا يساوي الواقع بل يوازيه، والتشابه هو الفاعل الأكثر اشتغالا بين صوره ومعطيات الواقع، وليس علاقة المطابقة أو المساواة؛ لأن الموازاة ـ كما يرى ـ اتّحاد في الوضع، والمشابهة اتّحادٌ في الكيف[3]، يقف الشعر مقابل الظاهرة أو المشهد دون أنْ يحتاج إلى إثبات انعكاسه بمساواة واقع الذات فيعبّر عنها، أو أنْ يلتزم بالمنطلقات الظاهرة أو ببعضها ليشكّل فارق خطابه، بل يعمد إلى اختزالها في أدواته الخاصّة، وأمّا

[1] . ريد، هربرت، معْنى الفنّ، ت : سامي خشبة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، القاهرة، 1998، ص12.

[2] . تودوروف، سفيتان، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، ت : عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، سوريّة، دمشق، 2002، ص8.

[3] . عصفور، جابر، مفهوم الشعر، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط5، 1995، ص241.

ISSN : 2410-1818

التشابه الذي يبحث عنه التلقي في صور الشعر فهي نتيجة تفوّقه الإبداعيّ في تشكيل العلاقة بالواقع أو ببنائها بالمخيّلة.

نستطيع أنْ نقول أنّ الشاعر ـ نظرا لطبيعة علاقة الشعر بالإنسان الحساسة ـ يرث علاقاته بالمحيط من شعراء الفترات الزمنيّة السابقة؛ إذ تفرض طبيعة الشعر رؤية العالم بهذه الحساسية، ولأن الشعر قديم قدم البشريّة في موقف الذات الشاعريّة مما يحيط بها؛ فإن الكثير من المعاني لازالت حاضرة إلى يومنا في تحولات شكليّة توالدت مما قبلها، وهي طاقة مستمرّة يستطيع الشعر أنْ يعيّنها في إرث الحضارات رمزيّا بما يشكّل خطابه من اختلاف يتّصل بالشعر الإنسانيّ، وعلى سبيل المثال يشير رندل كلارك في كتابه (الرّمز والأسطورة في مصر القديمة) إلى توظيف شكسبير صورة الشّمس وهي تبزغ في الفجر باستخدام رمزٍ مصريّ يرجع إلى سلطان العين؛ رمزا للقوة المدمّرة والضوء المُعْشي للإبصار : (كمْ من صباحٍ مجيدٍ صافحَتْ عيناي/ يُضْفي البَهاءُ على الذُّرى بعينِ السُّلطان)، فمن شعبيّة رمز العين إلى التجربة المشتركة[1]، وهذه تجربة مشتركة استطاع الشعر أنْ يستثمرها بطبيعة رؤاه في المشترك الإنسانيّ ليمثّل بها مشتركا شعوريّا، إذ يتسرّب أثره في هذا الجانب بكل استعادة تاريخيّة في فترته تعود إلى فترات بعيدة؛ كانت في وقتها ذات أثر بشكل آخر، بل ويتجدّد هذا الأثر لهذه الطبيعة.

الاستدعاءات التاريخيّة في الشعر العماني الحديث :

يشير محسن الكندي إلى أهميّة الاستجابة لمتغيّرات العصر، وضرورة تجاوز الموروث، بالإضافة إلى التّحولات المختلفة التي ساهمت في الترحال والحريّة؛ إذ هي من أهم أسباب البحث عن معنى آخر وصوت مختلف في الشعر العماني [2]، حيث وجد الشاعر حقيقته التي تعكس طبيعة الشعر في التعبير عن الإنسان عبر تاريخه الطويل، ولهذا ارتبط الحضور التاريخيّ بقيمة إنسانيّة خالصة بعيدا كلّ حيّز ضيّق يقيّد الشعور الإنساني عن الاتصال بأي فكرة أو واقعة تاريخيّة يشكّلها ببراعته الفنيّة، وهو ما راه الشاعر الحديث في عمان، إذ غيّر عالمه المقيّد واستبدل بضيق التعبير سعة الشعريّة التي تجني ثمار انفتاحها على المتغيّرات الإنسانيّة التي لا تتجاوز الزمان والمكان وأثرهما إلى صرامة واقعيّة، لنفهم تجاربنا الخاصّة، بالتوازي مع التجارب الكونيّة لدى الشعوب الأخرى بمختلف اتّجاهاتها وثقافاتها وماضيها وأثره في حاضرها خاصّة وفي مشتركنا الأمميّ عامة، وهو أثر رؤية كونيّة واسعة تستعيد كلّ ما يرتبط به الإنسان، وكل الموضوعات المرتبطة بروحه وفكره، وهي مرحلة أخذت شوطا خفيّا

[1] . كلارك، رندل، الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ت : أحمد صليحة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1988، ص215.

[2] . الكندي، محسن بن حمود، " الشعر العربي المعاصر في سلطنة عمان "، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين، ط1، 1995، ص345.

ISSN : 2410-1818

في الشعر العمانيّ لكثير من الظروف التي صرفت النظر عن الاهتمام بتحوّلاته الأدبيّة عامة، والشعريّة خاصة.

إنّ ما تقدّمه ذاتيّة الشّاعر في تجربته ـ وإنْ ضمّنها نجاحات وإخفاقات الإنسان تاريخيّا ـ يعود إلى حاجة الآخرين في تعيين العلاقات بين ذواتهم وما يمكن استعادته لتضميد الشعور بوطأة الواقع أو غياب ثيمة ملموسة في زمن ماض، وكل شيء في الشعر من أعلى مستوياته في عمق خطابه القائم على القياس المحقق لصوّرته الشعرية إلى ما يوظّفه الشعر من الجمع بين المحسوسات على شكل المتناول هو يدور حول الذات البشرية وعلاقاتها بالظاهر والخفيّ في لحظتها الأنيّة أو في ماضيها الغابر ومستقبلها المجهول.

في دراسته (وردة الشّعر وخنجر الأجداد) يشير ضياء خضيّر إلى عدم انقطاع الشعراء العمانيين في العصر الحديث عن بيئاتهم المحليّة وتراثهم العربي الإسلامي؛ على الرغم من اطّلاعهم على تجارب عالميّة في بيئات ثقافيّة مختلفة عن بيئاتهم؛ مع إنهم يعدّلون في تصوّراتهم الجماليّة والفنّيّة استجابة للمؤثّرات الجديدة[1]، فكانت القيم المشتركة التي منحت الشعر حريّة الرؤى الإنسانيّة تاريخيّا بما يستدعيه معنى صدمة الواقع أو حساسية الذات في علاقاتها بالمتكوّن والمتحوّل، بثقافة الشاعر الحديث في عُمان التي تشكّلت من وعي بالتراث الإنساني وثيماته القطريّة والعالميّة.

صور الحضور التاريخيّ في تجارب الشعراء العمانيين :

1ـ الاستنهاض :

تشكّل الشخصيّات التاريخيّة في الشعر العماني الحديث ظاهرة بارزة، إذا ما تجاوزنا دواعي الفخر بالتاريخ والعلاقة به، وما يترجمه الشعر من شعور دينيّ أو قومي في تجارب المحافظين، والتي يسمّيها إحسان عبّاس رومنطيقيّة إنسانيّة، الصّور التي تجعل الماضي حيّا في الحاضر، وفي ظلّ النوازع القوميّة المتعدّدة جعل من التاريخ حافزا في تقوية التّكاتف الاجتماعيّ في الأمة الواحدة[2]، أو كل ما يتّصل بنداء الاستغاثة والنداء الغائب في واقع أمة يؤلمها غياب نجاح ماضيها، فنسمع الاستنهاض ظاهرة واسعة في الشعر العماني تؤكد هذا الشعور، والاستنهاض بما فيه من تكرار لكثير من الأساليب الفنيّة يربط المتخيّل بصور الماضي في تشكيل صورة الخلاص أو المخلّص أو أسباب الخروج من الأزمة، وفي الشعر العمانيّ الحديث ـ كما يناقش هذه الظاهرة خالد السليمانيّ في دراسته (الاستنهاض في

[1] . خضيّر، ضياء، وردة الشعر وخنجر الأجداد (دراسة في الشعر العماني الحديث)، وزارة التراث والثقافة، عُمان، مسْقَط، ط1، ص54.

[2] . عبّاس، إحسان، اتّجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998، ص110.

ISSN : 2410-1818

الشعر العمانيّ الحديث) ـ أعاد الشعراء تصدير تجربة الشُّراة* الأوائل في ثوابتهم، فتعبّر التجربة عن فكر سياسيّ ورثه هؤلاء من أسلافهم؛ فنجد صورة الرجل الشّاري المنقذ، وبعث الإمامة ومناصرة الإمام، والدعوة إلى الصّحوة الدينيّة(1)، وهي ترتبط في تجربة المحافظين بمشترك فكريّ وديني؛ رسّختها العوامل السياسيّة والاجتماعيّة التي أدّت إلى الأوضاع السيئة التي عانى منها الناس في فترات الاستعمار أو الفتن الداخليّة بعمان.

في قصيدته من البحر الطويل (إلى رجال الاستقامة) يستعيد عبدالله الخليليّ آثار الكرام بعد أنْ خاطب الأمّة وحضّ على الاستيقاظ من أجل الحق والخلاص من الظلم وإعادة الحق إلى أهله :

خليليّ عُوجَا بي عَلى المَجْدِ سَاعَةً ... لأرْسي دَعَاماتِ الجَلالِ وأعْمُرا

خَليليَّ مُرّا بي على ساحَة الوفا ... لأشْهدَ آثَارَ الكِرامِ وأنْظُرا

خَليليَّ سيرا بي عَلى الخطّةِ التي ... تَسامتْ لأدْري ما عليهَا وأخبَرا

خَليليَّ مَنْ لَمْ يرْكبْ الصَّعْبَ سَالِكا ... بِهِ أخْطرُ الأهْوالِ غيلَ بأخْطرا

ثمّ يقول :

كَأنّا ولَمْ نبحْ عليهِ صواعقًا ... نُجرّعه الغِسْلينَ إنْ جار أوْ بَرى

كَأنَا ومَازلنَا عليهِ بليّةً ... ومرْعى وخيمًا ناقِعَ السُّمِّ أحْمرا

كأنّا لظَى في لُبّهِ وضَميرِه ... فإنْ شَاءَ بَرْداً بلّه فَتسعّرا(2)

إن الخليلي في استنهاضه يقيم أمامه تاريخا حافلا بالنجاحات الكثيرة، وهو في قصيدته يراهن على فاعليّة التاريخ بأمرين مهمّين؛ الأول التذكير بالمجد، والثاني المقارنة بين الماضي والراهن، ولهذا فالحضور التاريخيّ يوظّف كل ما من شأنه أنْ يجعل المادة الشعريّة تاريخيّة بحته، ويعتمد على إشعار المتلقي بعظمة الغربة في الحال؛ ولهذا هو يخاطب (المثنّى)، وكأن الفقد يتشكّل بالبوح لحاضر عن غربة زمن انتكست بطولاته وأحواله، فالخليلان نديما الماضي يشاركان في النجاحات ويغيبان عن الإخفاقات، ولهذا يستعين بأنسهما لتذكّر المجد السالف، وبعض الوقت يستعيد به جلال الماضي العريق ويشهد أثار الأجداد الذين صنعوا دعائم المجد، فخططهم للوصول إلى هذا المجد هي الطريقة الوحيدة التي يستعيدون بها هذه المكانة التي يتمنّاه الحالم لوطنه وأناسه، ثمّ يخرجُ بأسلوب خطابيّ يتضمّن

* مسلك بيع الإنسان نفسه رغبة في رضى الله.

[1] . السّليمانيّ، خالد بن عيسى، الاشتهاض في الشعر العماني الحديث، دار نثْر، عمان، مسقط، ط1، 2021، ص (31 . 61).

[2] . الخليليّ، عبدالله بن علي، ديوان وحي العبقريّة، دارجريدة عُمان للصحافة والنشر، عُمان، مسْقط، ط2، 1410هـ/1990م، ص119.

ISSN : 2410-1818

الحكمة من تغيّرات الدهر وتجاربه؛ انعكاسا على ذاته في غربتها، فالنبرة الخطابيّة التي تقوم على المباشرة الإنشائيّة هي أبرز تقنيات الشعر الاستنهاضي[1]، وهي أدوات شعراء هذا الاتجاه في العصر الحديث، ولعلّ الاستدعاء التاريخيّ في تجاربهم يفرض عليها محاولة الجمع بين أدوات أسلافهم ونبرة الخطاب المرتبطة بظروف الوضع الراهن.

التّحسر والشعور بوطأة الهزيمة يدفع إلى المقارنة بين حالين؛ كان في الأولى مجد ونجاح، وفي الأخرى هزيمة وإخفاق، ويتحمّل إنسان هذا الحيّز الجغرافيّ ثمن كل هذا، ينقد الخليليّ باستدعاء ما كان عليه ماض هذا الإنسان؛ حيث تذكيره بما كان عليه، إنه يشكو وينقد؛ " فهو يشكو أولا لتفريغ انفعالٍ يُثقل صدره ويشغل فكره، وهذا الانفعال ناتج عن قضيّة مصيريّة يؤمن بها الشاعر، ثم ينقدها نقدا قاسيا ـ غالبا ـ لبيان حقيقتها، والكشف عن مُسبّباتها، والدعوة المباشرة للنهوضِ لحلّها أو القضاء عليها "[2]، وتمثّل ذلك في تحسّر أبيات الخليلي السابقة التي يوظّف فيها تقنية التكرار الذي يقوم عليه الحضور التاريخي الحافل بالانتصارات على العدوّ، والذي قوي بعد أنْ ضعف أهل الأرض والحق، ويؤكّد معجمه اللغويّ الدال على هذا الانتصار في الماضي الدور الذي لعبه المجد السابق. فـ(الصّواعق، الغسلين، بليّة، سمّ، لظى)؛ ألفاظ قاسية تحمل التّحسر في قسوتها في هذا الاستدعاء التاريخيّ.

2ـ الشعور بالخذلان :

في الشعر الحديث صار التراث مسايرا لتصوّرات العصر؛ عن طريق استلهام مواقفه الروحيّة والإنسانيّة في الإبداع الشعريّ؛ فتمثّله شعراء هذه التجربة جوهرا وروحا ومواقف، وليس صورا وأشكالا وقوالب، فأدركوا أبعاده المعنويّة[3]، فالذات الإنسانيّة تتوحّد في الألم وإنْ اختلفت أشكاله، وما يراه هؤلاء الشعراء رؤى الإنسان في الماضي تتكرر بإخفاقات البشريّة المستمرة، وقد تجاوزت العلاقة بالتراث لديهم أيّ قيد فنّي أو معنويّ؛ إذ تشكّلت تجارب الشعر الحديث من وحدة الألم ووطأة المعاناة، وإضافة إلى حريّة الخطاب تأتي تجاربهم وليدة قسوة الراهن الذي تتنوّع مواقفهم منه بين الألم والأمل، وترك الشعر الوجدانيّ أثره في هذا الاستدعاء في الشكل الشعري الذي تطوّر بعد تجربة المحافظين، " إذ تناول التطوّر عناصر القصيدة الفنيّة الأساسيّة المعروفة؛ كبنائها العام، وإيقاعها ومعجمها وصورها الشعريّة، وما يدخل في تركيب تلك الصور من مجاز وتشبيه ومطابقة ومجانسة وغيرها من العناصر

[1] . الاستنهاض في الشعر العماني الحديث، ص198.

[2] . المصدر السابق، ص110.

[3] . إسماعيل، عزّالدين، الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة)، دار الفكر العربيّ، مصر، القاهرة، ط3، 1966، ص28.

ISSN : 2410-1818

اللغويّة والفنيّة "[1]، بما يحقّق علاقة شعراء التجربة الحديثة بالتراث وصوره التاريخيّة، فليس لهذه الأخيرة حدٌّ معيّن أو ارتباطٌ بشكل ثابت للموقف الذي تتمّ لأجله، إن الشاعر الحديث يصهر في تجربته الذاتيّة تحوّلاتها عبر إنسانيّة التاريخ، فيستدعي أحداثه وشخوصه استدعاء إنسانيّا؛ تمثّل الذات وجع البشريّة ويرتدُّ وجع هذه البشريّة على ذاته.

في نصّه (البسوس تخونها الذاكرة)؛ يستدعي هلال العامريّ صدمة العربيّ القديم الذي يكرّر وجعه في عصر الشاعر، فإذا البسوس* تظهر حاملة بصورتها الحديثة منجل الفتنة والخراب :

مرْحى بِبسوس

وشُحّها المُخْلس

تَلجُ الليلَ إذا عسْعس

والصّبحُ بخيفتِه يتوجّس

والدّمُ مقْهورٌ لا يتنفّس

مرْحى وُلدتْ

مرْحى وُئدتْ

مرْحى ولَدتْ حُلما أخرس

والحلمُ ذبيحُ النّحْر

حبيسُ القَبْو

شَهدتْ وعساءُ العُرْبِ بَسوسَا

ولَدتْ .. ماتَتْ .. لمْ تتَنفَس [2]

إنّ التاريخ حين يفرض وجعه على الشاعر المخلص لذاته التي تتألم لطعنة شوكة في قدم صبيّ؛ يدفعه إلى البحث عن أوجاع اخفافات بشريّة مماثلة؛ وإذا كانت مادّة الشعر هي تلك المغايرة اللغويّة فنّيّا فإن هذا التوظيف في حدّ ذاته مغايرة واقعيّة، فالوجع في التجربة الشعريّة يجرح الذات الهشّة في مشاركة الشاعر الذي يشارك البشريّة وجعها، وهذه الجرح يتمثّل في المسافة الزمنيّة بين الواقعة التاريخيّة وشخصيّتها المؤثرة وبين زمن الإخفاق الذي أعادها للذاكرة، وحدّة الألم هو ما تقتات عليه فنّيّة التجربة

[1] . القط، عبدالقادر، الاتجاه الوجدانيّ في الشعر العربيّ المعاصر، مكتبة الشباب، مصر، القاهرة، ص225.

* حرب طويلة بين البكريين والتغلبيين؛ نُسبت إلى البسوس بنت منقذ والتي يقال أنها سببها.

[2] . العامريّ، هلال، الأعمال الكاملة، الانتشار العربيّ، لبنان، بيروت، ط1، 2013. ص147.

ISSN : 2410-1818

الشعريّة، "وهكذا تكتسب تجربة الشاعر المعاصر باستدعاء هذه الشخصيّات التراثيّة غنى وأصالة وشمولا في الوقت ذاته، فهي تُغني بانفتاحها على هذه الينابيع الدائمة التدفّق بإمكانات الإيحاء ووسائل التّأثير، وتكتسبُ أصالة وعراقة باكتسابها هذا البعد الحضاريّ التاريخيّ "[1]، فتتأصل صورة الراهن بشكل مختلف عن سرد التاريخ؛ إذ يحيطها الشاعر برؤيته الإنسانيّة ضمن الواقع والمأمول بحضور المفقود في استقراء منطوقات النصّ لفظيّا، وكل ما يمكن تلقيه هو انعكاس الإخفاق الإنسانيّ في تفادي تكرار الحادثة وأثر شخصيّتها، وكأنّ هلال العامري يجرّد التاريخ من زمنيّة المسافة ليضع الزمنيين بلا مسافة في نصّه، أسباب الفتنة وآثارها ومواقف العرب منها تترصّد الحاضر وتستعيد مكانتها، وعلى الرغم من عدم اكتراث الإنسان في الحاضر بما أدّت إليه تلك الفتنة القديمة؛ لكنها في الصّور التي يشكّلها الشعر بأدواته تبدو إخفاقات لا يخلو استدعاؤها من فاعل الاستهجان والتّذمّر والتّبرؤ من موقف الإنسان في زمنها منها.

ولدت البسوس لأنّ الإنسان العربيّ كرّر تجاهله لوجودها، ولم يقيّم الوضع الذي يمكن أن يصير إليه هذا الإخفاق في قراءة عصره وتقييم ما يعيشه، وفي كل اخفاق عربيّ تكون البسوس حاضرة شكلا يتولّد من أسباب الفُرقة والتناحر، ولهذا فهي تولد مرارا وتتكرر أعباؤها على إنسانيّة العربيّ الذي يُقهر في كل هذه الإخفاقات. وهو ما شكّل به الشاعر حضور التاريخ بالحال المتكرّرة لفعل البسوس المستدعاة من الإخفاق القديم؛ والذي نكّل بكل القيم الإنسانيّة ليقتتل العرب ويفني بعضهم بعضا، وكل سبب في خلاف اليوم يراه الشاعر الصورة القبيحة التي رسمها في ذهن المتلقي بشاعة الرأي والاخفاق في تجاوز أسباب الفتنة والتّعصب.

مرْحى وُئدتْ

مرْحى ولَدتْ حُلما أخرس

وفي نصٍّ آخر " استخدم الشاعر شخصيّة قابيل رمزا للجاني المغتصب الذي قطع على نفسه عهدا أنْ لا يمرّ على أرضٍ طاهرة إلا عاث فيها فسادا وجعل أعزّة أهلها أذلّة "[2]، وهو توظيف لشخصيّة تاريخيّة كما يسمّيها المهريّ؛ تأتي الشخصية في استدعائها برمزيّة الشرّ المستطير، تحمل في طيّات توظيفها الشعريّ صورة واسعة تستغني بها الصورة الشعريّة عن أركان التركيب البلاغي القديم، فصورة الشعر اليوم لا تشبه الصورة القديمة التي يلتقطها الشعراء من المحيط محاكاة للمشاهد؛ إنها علامات معقّدة

[1] . زايد، علي عُشْري، استدعاء الشّخصيّات التّراثيّة في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربيّ، مصر، القاهرة، 1417هـ/ 1997م، ص17.

[2] . المهري، محمد بن سالم، تطوّر الشعر العماني المعاصر في النصف الثاني للقرن العشرين، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريّة، دمشق، ط1، 2010، 480.

ISSN : 2410-1818

في تكويناتها تعقيد الواقع الذي نعيشه[1]، فالمستدعى سواء كان شخصيّة أو حدثا تاريخيّا هو في ذاته رمز لشيء أو حامل لكثير مما يمكن أن يُقرأ منه :

والبحْرُ يُنادي

توجدُ منْطقَة يا هذا

لا تعْرف مثواها

قدْ لامَسها الطُّهر سنينا

إذْ غَامتْ في عيْنَيَ قابيل الذّكْرى[2]

كيف يمكن أنْ يقول المستدعى الكثير ممّا يتجاوز ربط المكونات اللفظيّة في الصورة القديمة. وهو ما يحمله الرّمز في الشعر الحديث انعكاسا التاريخ بكل تحوّلاته على الذّوات. فالرمزيّة كما يرى محمّد فتوح أحمد في دراسته (الرمز والرمزيّة في الشعر المعاصر) "مذهب مثاليّ يرى العالم الخارجيّ من خلال الذات ويردّه إليها "[3] ، وقد اتّفق ذلك وقدرة اللغة الشعريّة على التكثيف المعنويّ وفاعليّة الإيحاء؛ فالشعر الحديث من خلال ثقافة تلقّيه المختلفة يشير بالملفوظ الغريب إلى المعنى البعيد والكثير، كما تعمل الاستعارة الحديثة.

3ـ التيه :

يأتي التاريخ في تجربة سماء عيسى بتوظيف مدهش؛ إذ تتشكّل صورته في تركيب الخطاب جزءا من المعنى، فالوحدة هي الرمز التاريخيّ بكل ما يمكن أنْ يدلّ عليه، وكأنك تقرأ التيه بمستوى الخذلان والتلاشي في آخر الطريق.

يقول في نصّه (دم العاشق) :

يهيمُ وحْدهُ في الأرْض

تتْبعْه امْرأةٌ حُبْلى

بِدم الآلهة

في دَمِه أنْثى

تدْفعُه إلى الموت

---

[1] . الجمال، ياسر جابر، سيميائيّة الصّورة في القصيدة العربيّة، مكتبة نور، ص4.

[2] . العامريّ، هلال، الأعمال الكاملة،

[3] . أحمد، محمد فتوح، الرمز والرمزيّة في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط3، 1984، ص119.

ISSN : 2410-1818

قلُوبهم مَعَك

وسيوفُهم

عَليك(1)

التيه الذي تبدو حدوده خارج الذات هو في الحقيقة ذوات منقسمة على توقّعات الخلاص الذي يبدو ثيمة الانتصار على الاغتراب، البشريّة تستدعي الشاعر من أوجاعها القديمة لتعيّن مصير صيرورتها في إخفاقاتها، ونحن نقرأ ما ينعكس على الذات الشعريّة في مقطع سماء عيسى، إنه فاعل المؤشّرات اللفظيّة في تعيين حدود العلاقة بين الذات وما تريده البشرية بتوظيف موقف الشّاعر، وهنا نجد أن الشاعر يعكس الخذلان على طرف آخر كان فيه خذلان مختلف لكنّه يعكس معاناة البشريّة في استقصاء السلام الذي تحلم به، الشاعر بعد صورته الشعريّة التي تشيء باغتراب بشريّ مثّله غائب يحمل مصيرا غامضا مثّلته (امرأة حبلى)؛ يستدعي شخصيّة الحسين بن علي رمزا لإنهاك هذا المصير بقسوة الخذلان التاريخيّ الكبير، حيث تنشب الخديعة في البشريّة معنىً يستهلك ما بقي لديها من حيوات أتت عليه الحروب والنكايات، إنه الحاضر الذي يكرّر هذا الخذلان المحقّق لإخفاق الواقع في صيرورة الإنسان.

يعكس الشاعر ضريبة هذه الحساسيّة من المآلات القاسية بأنْ يحمل عبء الاستدعاء، وفي الوقت ذاته يجد في ذلك هربا مما هو مهيمنٌ؛ فالشعراء في العصر الحديث " ربّما استدعوا قصص التراث، وبطولاته هربا من الاغتراب الذي يقيّد حاضرهم "(2)، يتولّد هذا الاغتراب من شعورهم بانكسارات أحلامهم وما يشترك به معهم المسحوقون وبؤساء التاريخ الحديث، هذا الشعور يتمثّل في هشاشة الذات التي تخبئ في كوامنها مأساة خذلان الحُسين ممن وثق بهم؛ فكانت قلوبهم معه وسيوفهم عليه، وكأنّ الشاعر يوقِفُ البشريّة كلها لعرض هذه الخيانة أمام الحاضرين في تاريخ الخيانات الحديثة، ولعل هذا يقارب نوعا من التّوازن الذي يراه جيلبير دوران عن الخيال الرّمزيّ بأنّه " عامل توازن نفْسي ـ اجتماعيّ "(3)، يتحقّق في هذا الجانب بأهميّة أنْ يجمع الشاعر بين تماثلات الإخفاقات البشريّة، ويبدو في هذا العمل أن اختزال ذلك في رمزيّة الحضور التاريخيّي يمنحه حريّة قياس الرؤى والتفسيرات؛ وهذا بدوره يمنح الرمز طاقة دلاليّة تفيض على غيرها من التّصوّرات، ويمتلك خطاب الشعر قبل غيره من الأجناس هذه الميزة لكونه القائم على مساحة الترميز اللغويّ، فهو عادة " يصوّر

---

[1] . عيسى، سَماء، دمُ العاشق، دار الفَرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريّة، دمشق، ط1، 2011، ص55.

[2] . جعفر، محمد راضي، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتزّ للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط1، 1434هـ/2013م، ص115.

[3] . دوران، جيلبير، الخيال الرّمزيّ، ت : علي المصريّ، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1414هـ/1994م، ص116.

ISSN : 2410-1818

الأشياء وعلاقاتها في إطار يتجاوز النّسبيّ والمتغيّر، فالتعبير اللغويّ يزداد شاعريّة كلّما ازدادت فيه علاقات المجاز، واتّسعت دلالات الرّمز "[1]، وحضور المُستدعى في النصّ الشعريّ الحديث المختزل يجعله مشعّا بدلالات كثيرة.

الإمام عزّان بن قيس البوسعيديّ* توظيفٌ تاريخي آخر يحمل حساسية التاريخ الحديث في الذاكرة العمانيّة، يحضر في لحظة الاستسلام التي يصوّرها الشاعر في وقفته بين الصمت الممتدّ والصّخرة؛ إذ لم يكن هناك خيار آخر، هذا الاستدعاء ينبش التاريخ ليستعيد وحدة إنسان ترك أثره على صفحة الزمن، إذ مثّل التّمسّك بنهاية سيرة طويلة من الحكم الإماميّ، قبل هزيمته وموته، ويبقى أنه ذاتٌ لها دائرتها وموقفها الذي يتّفق ويختلف عليه النّاس.

وتذكّرتُ

وأنَا أقِفُ أمَامَ الصّخْرَة2ص

" لمْ يبْقَ أمَامي

سوى الطَّريق

إلى البَحْر "[2]

الذات الشاعرة تستعيد الموقف الذي وقفه الإمام أمام البحر طريقه الوحيد؛ استعادة تفرض سطوة التاريخ بكل تحوّلاتها بعيدا عن الموقف من الحدث وصاحبه، وهو إضافة إلى هذه الحساسية يشكّل الصورة برسم المشهد خياليّا أمام المتلقي الذي يقف بمحاذاة عزّان بن قيس لينظر في عينيه في تلك اللحظة التاريخيّة، فيجعل النصّ بهذا الاستدعاء اعتراف بتحولات الزمن وطبيعة الأيّام، وفنّيا في الشعر الحديث تُستدعى الشخصيّة التاريخيّة لما تمتلكه من قدرات إيحائيّة لما ارتبطت بها من دلالات في وجدان المتلقي ووعيه، فيثير الاستدعاء تلك الدلالات ويبعثها[3]، فيحضر عزّان بن قيس بدلالات الصراع الحديث إضافة إلى شخصيّته الاجتماعيّة والدينيّة التي تمثّلت في محاولته إعادة الأمر ـ كما يراه ـ إلى ما كان عليه في زمن الأئمة الذين سبقوه.

---

[1] . فايز، علي، الرمزيّة والرومانسيّة في الشعر العربيّ، ص10.

*. من حُكّام عمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1868 . 1871)م.

[2] . دم العاشق، ص68.

[3] . استدعاء الشّخصيّات التّراثيّة في الشعر العربي المعاصر، ص279.

ISSN : 2410-1818

4ـ استعارة الصفات :

صورة أخرى من الحضور التاريخيّ الحديث نجدها في تجربة سيف الرحبيّ، تشير إلى الصفات التي يستثمرها النصّ من حضور الشّخصيّة، ويبدو المُستدعى في جهة مقابلة أكثر وضوحا من المُستدعى القديم، أو بمعنى آخر تضفي الشخصيّة القديمة رمزيّة مكثّفة لما أضيف عليها من تجارب ومواقف، إضافة إلى علاقتها بالتّجذّر البشري رمزيّا، بينما تبدو في بعض الأحيان الشخصيّة التاريخيّة الحديثة إشارة؛ نقول في بعض الأحيان، ويشير أدونيس إلى ذلك في علاقة الرمز بالقصيدة، ففاعليّة الرمز عنده أنْ ينقلك بعيدا عن القصيدة ونصّها المباشر، إذ يتمثّل دوره في إتاحته لنا تأمّل ما وراء النّص، لغة تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو الوعي بعدها(1)، والتوظيف هنا يأتي استعادة برؤية النصّ، وعلى فنّيته القائمة على اللفظيّ يتحقّق دور المُستدعى الذي يظهر في التّصور والصّورة، وكما قال أدونيس تأمّل ما وراء النصّ.

يقول في نصّه (مازوشيه) :

تَجزّينَ عُشبةَ الرّاعي وتُطعمينَها

لثعَالبِ الرّيح

كلماتِك التي تُطارِد فجْراً في سُهوبٍ

بعيدَةٍ، في سُهوبٍ مَليئَةٍ بنعُاسِ

الذّائب

أنا الشّديدُ الأيمَانِ بمَا تقولينَ

الشّديدُ الكُفْر بمَا يقولُه غَيرُكِ

أنا الأكثَرُ عِناداً من نَابليون.(2).

إن التوظيف التاريخيّ في المقطع يضمر الصفة التي تدل على الموقف من فعل الآخر، وما يقابل التوظيف هنا شكل آخر للخروج من أزمة الشعور بالعجز أمام من يستحق التّضحية ويخذل صاحبها، يعبّر الشاعر عن العجز بالصلابة الشديدة للخروج ولو بقليل مما تؤمن به الذات، وسيف الرحبي يسير في هذا الاتّجاه بعيدا عن الاستدعاء التراثي لدى بعض الشعراء الواقعيين في التجربة العمانيّة؛ في توظيف الرموز أو تصوير الحوار والحركة الدّراميّة التي يشير إليها الموسويّ(3)؛ إنه يستأثر بالمُستدعى دون دوره

---

[1] . أدونيس، زمن الشعر، دار الساقي، ط7، 2012، ص269.

[2] . الرّحبي، سيف، مدية واحِدة لا تكفي لذبح عصفور رأس المسافر، المطبعة الشرقيّة ومكتبتها، 1988، ص42.

[3] . الموسويّ، شُبَّر بن شَرَف، اتّجاهات الشعر العمانيّ المعاصر، مطابع النهضة، 2000، ص250.

ISSN : 2410-1818

في النصّ، فموقفه صفة (نابليون) تجاه كل ما يشبه ردّات فعل الآخر، بعد كل ما يمكن أنْ يكون غير متوقّع شعوريّا، وهو البعد الذي يجده الشاعر مناسبا تجربته من أبعاد الشّخصيّة؛ صفة يستعيرها، ويجعلها محورها[1]، دون أن يترك أثرا لهذه الاستعارة.

5ـ مخاطبة المُستدعى :

هناك شكل آخر للحضور والتوظيف التاريخيّ، هو رسائل الشعراء إلى الشخصيّات، أو التّحدث إليهم، وله صور مختلفة من أبعاد الإجلال والعتاب والاغتراب، والنص الحديث يستعيد الحالة الشعوريّة بوعي الذات المعاصرة بما لا تستطع القصيدة التقليديّة استثماره، " حيث تصل كلمات اللغة في الشعر إلى أقصى غناها وأتمّ قيمتها وأقواها حملا للمعاني وشحنا بالعواطف واستدعاء للتجارب "[2]، ممّا يجعل التوظيف فاعلا بدلالته في إثارة المعنى وتولّده من تصوّر اللغة القريبة لفظا وتركيبا.

يوجّه هلال الحجري خطابه إلى مالك بن فهم معاتبا :

مَا ضرّك لو جلدتَ خيلكَ قليلاً

فَزَحْزَحْتنا

عن هَذهِ الأرْضِ التي

لَنْ

تنْكِحَها السّماءُ أبَدا !

لا يا مالِكُ

وأعْراف خَيلِكَ الشُّعْث !

مَا بِهذِهِ البَسَاطَةِ

يُطْفَأ الاغْتِراب[3]

إن للتاريخ تحوّلات حضاريّة تترك أثرها في الأجيال ثقافة ووعيا ومواقفا، وهذا لا يتحقّق مباشرة؛ بل يشكّل تراكمات متنوعة خلال الحقب الزمنيّة، وتحدث الكثير من التغيّرات فيها بإنتاج الحضارة الضروريّة للاختلاف والتعدّد، " وعندما سارت البشريّة قدما في مضمار الحضارة في شتّى أساليبها

[1] . استدعاء الشّخصيّات التّراثيّة في الشعر العربي المعاصر، ص194.

[2] . النويهي، محمد، قضيّة الشعر الجديد، المطبعة العالميّة، مصر، القاهرة، 1964، ص115.

[3] . الحجْري، هلال، هذَا الليل لي، مطابع مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، عمان، مسقط، ط1، 2006، ص101.

ISSN : 2410-1818

وصورها، رويدا رويدا أخذ التاريخ يشكّل أساسا جوهريّا في تسجيل موكب البشريّة الحافل "[1]، وترك هذا الكثير من الفجوات التي تمنّت أجيال الحضارات لو عادت إليها أو تنبّه لها جيل تلك الفترة، غير أن التّحولات تقوم بتقييم المسافة بين الأحلام والواقع، والشعر كغيره من الفنون يقوم على استعادة الفائت ومحاولة تشكيله جماليّا بالآمال والآلام، وينظر الشّاعر إلى التاريخ بمنظار ذاته في تشكيل موقفه الفنّي؛ فيرسم صورته على احتمالات حساسيته الشعريّة.

يعاتب الشاعر مالك بن فهم* سيّد قومه وأحد أجداد القبائل العمانيّة التي أقامت في عمان، يعود الشاعر إلى هذه الفجوة التاريخيّة ليحمّل مالك مسؤوليّة تجاوزها، ولا يتعلّق الأمر شعورا فقط بطقس جغرافيّة عمان، والذي يقول عنه السّيابيّ : " وعمان كلّها غالبا تغلب عليها الحرارة في الصّيف "[2]، ويتبع ذلك ما يتعلّق بهذه الطبيعة وما تتركه في ما يمكن أنْ يشكّل نوعا من تماسّ الذات الشاعرة مع فراغ تاريخيّ، إن مخاطبة شخصيّة مالك هنا؛ توظيف بتراكمات تحوّلات تلك الفترة، اغترابٌ كان يمكن أن يكون بشكل مختلف؛ " مَا بهذِهِ البَسَاطَةِ يُطْفَأ الاغْتِراب "، إن للذات الشاعرة جذور تمتدّ إلى مثيلاتها في حقب التحوّلات التي تتضمّن الكثير من إخفاقات البشريّة مقابل الآمال المبثوثة فيما يراه الشاعر في المعنى.

6ـ المشاركة :

عبدالله البلوشي يرسل (آرثر رامبو) / ذاته المتماهية مع الوجود بكلّ مآلاته، وهو في محاولة فهمه يتعمّق في الفراغات ويتجذّر في الاغتراب، ليس ما يتركه الشعر مصير فرديّ؛ إنها أسئلة لا يعبأ بها غير الفنّ، تترك قسوتها على الشاعر، إنه مجال روحي في التواصل مع المختلف لرؤية المحيط بارتداد موضوعاته على الذات، (الذات / رامبو) تقع في منطقة الإيذاء الضروريّ لهذه الرؤيا، إنه نوع من الاغتراب الروحيّ من جهة أخرى؛ انفصال عن المثاليّة إلى عالم خاص[3] تؤمن به الذات الشاعرة جرأة على الأسئلة.

هائماً كُنتَ

لأنَّ أسْرارَ الخَليقَةِ تُعذّبكَ مثْلمَا نَبَتتْ حوْلَ سرّتك

كأعْشَابٍ متوحّشَةٍ في ظُهورها الأوّل

---

[1] . " أهميّة علم التاريخ "، ص59.

* ملك كان على رأس قبائل أزد النازحين إلى عُمان إثر انهيار سدّ مأرب.

[2] . السيابي، سالم بن حمود بن شامس، عمان عبر التاريخ، وزارة التراث والثقافة، عُمان، مسقط، ط5، 1435هـ/2014، ص41.

[3] . الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، ص97.

ISSN : 2410-1818

لكنّ إمْعانِكَ السّابِر ذاكَ

لَمْ تَكُنْ لتُطيقَه حتّى أضْلاعِكَ النّافِرة كي تحتويه

ـ رغْمَ صلابتِها ـ

لذلِكَ أفْصَحتَ عنْ ضَجَرِكَ القَاسي

وكُنتَ تَبْكي واجِماً كالأطْفَال(1)

(رامبو / الذات)؛ ليس الشاعر هنا بل المعنى، جرأة السؤال عن المصير، هذا الحضور رفقة في طريق الشاعر؛ حيث يتحوّل الشعور بالوحدة إلى شرخ في الذاكرة، ليس له سوى الاستئناس بالغريب اشتراكا في فهم المعنى من موضوعات المحيط، ولا يشفّ هذا الأخير عن أسراره إلا باحتراق الرؤى الشعريّة لتكون (بخورا) ينتشر سريعا يفهم كنهه الشاعر، وهذا الإمعان فيما لا يكترث له الآخرون عبء ثقيل على كتف ذات هشّة شديدة الحساسية.

حاولتْ هذه العجالة قراءة بعض صور الحضور التاريخيّ في الشعر العمانيّ الحديث، وتزعم أن ما قدّمته يمكن أن يُنطلق منه لطرح القضيّة بشكل أكثر علميّة؛ يفي الموضوع حقّة بالتّوسع في التجارب الشعريّة.

[1] . البلوشي، عبدالله، الرّقة الفاتِنة للنّجم، دار نثْر، عُمان، مسْقط، ط1، 2021، ص58.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

يوظّف الشعر التاريخ بذكاء تركيبه اللفظيّ، والمفارقة هي أهم ما يمكن أن يجمع به الشعر الحضور التاريخيّ وحاضر الخطاب، وتحقق فاعليّة الحساسية الشعورية هذا الاختلاف بتنوّع أدوات الشعريّة في جعل ما يحيط بالمُستدعى في التركيب الشعريّ معنى ظاهر أو إشارة إلى مدلول بعيد، وقد شغل ذلك الشاعر العماني بما انعكس على تجربته في العصر الحديث من دواعي ودوافع استعادة التاريخ وتوظيفه بأحداثه وشخوصه، وقد حاولتْ الورقة قراءة بعض نماذج شعراء روّاد لتعيين أهم صور هذا الحضور توظيفا تاريخيّا في التجارب الشعريّة، وخرجت بالنتائج التالية :

- لا يمكن أن ينفصل الإنسان عن التاريخ البشريّ أو أن يتجاوز أهم ما شكّل منحنيات حادة في فتراته الزمنيّة، فالتاريخ حلقات متّصلة ببعضها وإن اختلفت في تطوّراتها متعددة الجوانب.
- الشعر يتفرّد بطبيعة خطابه في التعامل مع استعادة التاريخ، فاستدعاؤه التاريخيّ لا يقوم على التعامل مع مادّته نقلا تمثيليّا أو تحليليّا؛ بل يوظّفه إشارة ورمزا في تركيبه دالا على معنى بعيد يختزله في تركيب خطابه الملفوظ.
- شكلت التجربة الشعريّة العمانيّة انعكاس تحوّلات العصر الحديث المختلفة، فارتبط الشاعر بتاريخه في ضوء قراءة العصر وفهم صيرورته وأبعاد تجاربه، فوظّف التاريخ في تجارب تجمع بين المحافظة والحداثة.
- جاء الحضور التاريخيّ في الشعر العماني على صور متعددة أهمها الاستنهاض، والشعور بالخذلان، والتيه، واستعارة الصفات، ومخاطبة المستدعى، والمشاركة، وتنوّعت بين الأشكال الشعريّة الثلاثة.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع

1. أحمد، محمد فتوح، الرمز والرمزيّة في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط3، 1984.

2. المهري، محمد بن سالم، تطوّر الشعر العماني المعاصر في النصف الثاني للقرن العشرين، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريّة، دمشق، ط1، 2010.

3. الموسويّ، شُبَّر بن شَرَف، اتّجاهات الشعر العمانيّ المعاصر، مطابع النهضة، 2000.

4. النّويهيّ، محمّد، قضيّة الشعر الجديد، المطبعة العالميّة، مصْر، القاهرة، 1964.

5. جعفر، محمد راضي، الاغتراب في الشعر العربي المعاصر، دار المعتزّ للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط1، 1434هـ/2013م.

6. حنفي، حسن، التراث والتجديد (موقفنا من التراث القديم)، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتّحدة، وندسور، 2017.

7. خضيّر، ضياء، وردة الشعر وخنجر الأجداد (دراسة في الشعر العماني الحديث)، وزارة التراث والثقافة، عُمان، مسْقَط، ط1.

8. درو، اليزابث، الشعر (كيف نفهمه ونتذوّقه)، ت : محمّد إبراهيم الشوش، منشورات مكتبة منيمَنة، لبنان، بيروت، 1961.

9. دوران، جيلبير، الخيال الرّمزيّ، ت : علي المصريّ، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1414هـ/1994م.

10. ريد، هربرت، معْنى الفنّ، ت : سامي خشبة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، القاهرة، 1998.

11. عبّاس، إحسان، اتّجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998.

12. إسماعيل، عزّالدين، الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة)، دار الفكر العربيّ، مصر، القاهرة، 1966.

13. عصفور، جابر، مفهوم الشعر، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ط5، 1995، ص241.

14. أدونيس، زمن الشعر، دار الساقي، ط7، 2012.

15. البلوشي، عبدالله، الرّفَة الفاتِنة للنّجم، دار نثْر، عُمان، مسْقط، ط1، 2021.

16. السّليمانيّ، خالد بن عيسى، الاسْتنهاض في الشعر العماني الحديث، دار نثْر، عمان، مسقط، ط1، 2021.

ISSN : 2410-1818

17. السيابي، سالم بن حمود بن شامس، عمان عبر التاريخ، وزارة التراث والثقافة، عُمان، مسقط، ط5، 1435هـ/2014.

18. الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ط11.

19. النويهي، محمد، قضيّة الشعر الجديد، المطبعة العالميّة، مصر، القاهرة، 1964.

20. تودوروف، سفيتان، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، ت : عبود كاسوحة، منشورات وزارة الثقافة، سوريّة، دمشق، 2002.

21. زايد، علي عُشَري، استدعاء الشّخصيّات التّراثيّة في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربيّ، مصر، القاهرة، 1417هـ/ 1997م.

22. عيسى، سَماء، دمُ العاشق، دار الفَرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريّة، دمشق، 2011.

23 ـ الجمال، ياسر جابر، سيميائيّة الصّورة في القصيدة العربيّة، مكتبة نور.

24. كلارك، رندل، الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ت : أحمد صليحة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1988.

25 ـ الحجْري، هلال، هذَا الليل لي، مطابع مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، عمان، مسقط، ط1، 2006.

26 ـ الخليليّ، عبدالله بن علي، ديوان وحي العبقريّة، دارجريدة عُمان للصحافة والنشر، عُمان، مسْقط، ط2، 1410هـ/1990م.

27 ـ الرّحبي، سيف، مدية واحِدة لا تكفي لذبح عصفور رأس المسافر، المطبعة الشرقيّة ومكتبتها، 1988.

28 ـ العامريّ، هلال، الأعمال الكاملة، الانتشار العربيّ، لبنان، بيروت، ط1، 2013.

29. القط، عبدالقادر، الاتجاه الوجدانيّ في الشعر العربيّ المعاصر، مكتبة الشباب، مصر، القاهرة.

30 ـ الكندي، محسن بن حمود، " الشعر العربي المعاصر في سلطنة عمان "، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين، ط1، 1995.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلس للعلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X
الترقيـم الدولـي الورقـي :ISSN:2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـة مفهرسـة فـي المواقـع الآتيـة :

العام	2021	2022	2023	2024	2025
معامل أرسيف	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068	0.5978
معامل التأثير العربي	1.60	1.73	1.25	1.55	1.59